الصليب والعالم الحديث[1]

الأرشمندريت جاورجيوس (كابسانيس)

إنَّنا نعيش في عالمٍ تسوده روح العداوة تجاه الصليب. ومن جرّاء محبّته الذاتيّة، اتّخذ هذا العالم غايةً له أن يُشبِعَ المرء شهواته من دون أيّ قيدٍ أخلاقيّ، وأن يعيش حياةً مرفَّهةً مليئةً بالراحة، ولم يستثمر حرّيّته بالتضحية والمحبّة (أي بالصليب) بل بالأنانيّة.

لا يرغب هذا العالم في أن يسمع أيّ شيءٍ يتعلّق بإنكار الذات وسيادة المرء على أهوائه، وبذل الذات والصوم والنسك. وهو، في الأساس، يرفض الصليب؛ ولهذا ينعدم أيُّ لقاءٍ مع المسيح. فيبقى المرء في فسادٍ وموت، في ضجرٍ وفراغ. يتسلّى لكنّه لا يفرح.

إنَّ علوم النفس والتربية والسياسة والاجتماع والقانون تحارب مباشرةً بهذه الروح. نلاحظ ذلك جليًّا في كتاب "رجاؤنا" للأب ديمتري دودكو الذي يقول: "من الواضح أنّنا نحاول أحيانًا، على الرغم من إيماننا بالمسيح، أن نجعل رحلتنا نحو الملكوت السماويّ رحلةً مريحة! لقد جعلَنا العالم، بسلعه وتقدّمه التقنيّ، مخدَّرين. مع أنّنا نتكلّم أحيانًا على الألم والمعاناة، نقول فجأةً: "المسيحيّة فرح". غير أنّ الفرح لا يأتي هكذا. لا يمكن شراء الفرح، لا يمكننا أن نبتاعه بالمال، بل يُشترى الفرح بالجهد والألم. لكي يخلص الإنسان، عُلِّقَ ربُّنا على الصليب. طوعًا. صُلِبَ ومات، ثمّ جاءت القيامة وبعدها الفرح. يقول المسيح: "مَن أراد أن يتبعني فليحمل صليبه ويتبعني". لذا، من الضروريّ أن يحمل المرء صليبه. وهؤلاء الذين يتبعون المسيح من دون صليبٍ لا يستحقّون المسيح. قال لنا المسيحُ نفسه هذا الأمر بوضوحٍ تامّ: "لا يستحقّني". هذا يعني أنّ إيمان هذا الشخص بالمسيح ومحبّته لا يكونان صادقَين، ويكونان عديمَي القيمة.

إنّ الصليب يرعبنا، وهذا طبيعيّ، لأنّه يسلبنا راحتنا. الألم مخيفٌ لنا، ولكن، في الحقيقة، الراحة هي التي يجب أن تخيفنا. فإذا تفحّصنا الأمر بتدقيق، يمكننا أن نلاحظ أنّ جميع الشرور المعاصرة تنبع من الراحة. الصلاح هو الجهاد والألم والصليب، كما يقول المسيح. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يصبح بها حملُه

[1] من مقالة بعنوان "صليب المسيح ومعناه في حياتنا: الصليب الكريم كرمز وعلامة للمسيح".

خفيفًا. هذا العالم الذي يرفض صليب المسيح يجب أن يواجه الضربات القاسية التي نشأت نتيجة آرائه المعادية للصليب، مثل الإيدز وإدمان المخدّرات والكوارث البيئيّة. وليس الحلّ، كما يُظَنّ، في اتّخاذ تدابير وقائيّة معيّنة. هذه مفيدة، لكنّها ليست كافية. الحلّ الوحيد البعيد المدى هو التوبة. عندما طلب اليهود "آية" من المسيح، أجاب بأنّ الآية الوحيدة التي ستُعطى لهم هي آية النبيّ يونان. وأشار بذلك إلى موته ودفنه وقيامته (متّى 12: 39). هذا هو الحلّ اليوم ليأسنا والكارثة التي تلوح في الأفق. لذا، فإنّ اختيار حياة حمل الصليب هو الحياة.

قال المغبوط أوغسطينوس، أحد آباء الغرب: "أعرف ثلاثة صلبان. أحدها صليب الخلاص، صليب المسيح: هذا هو الصليب الذي به يخلص الإنسان. والصليب الآخر هو صليب اللصّ المصلوب عن اليمين. وثمّة صليبٌ ثالثٌ يمكن للإنسان أن يخسر به الأبديّة، هو صليب اللصّ المصلوب عن اليسار. يمثّل هذان الشخصان، اللصّان، البشريّة جمعاء. فصليب لصّ اليمين هو الجزء الذي يقبَلُ صليب المسيح ويحمله. وصليب لصّ اليسار هو جزء البشريّة الذي لا يقبل صليب المسيح، فينتهي به الأمر في الجانب الخاسر. وعمومًا، لا يمكن تجنُّب الصليب بأيّ شكلٍ من الأشكال". على المسيحيّين العائشين في هذا العالم والذين ينبذون الصليب، أن يبذلوا جهودًا كبيرةً لكي لا يغوصوا في عالم القيم المادّيّة. هم في معضلة اختيارٍ دائمة بين طريقتين للحياة: بين حياة حمل الصليب في المسيح أو حياة معادية للصليب، أي بين المحبّة المصلوبة والأنانيّة المعادية للصليب. بالمحبّة نُصلَبُ مع المسيح، وبالأنانيّة نَصلِبُ المسيح ونصبح أعداء صليب المسيح. يتحدّث الرسول بولس عن صالبي المسيح القدامى والجدُد قائلًا: "لأنّ كثيرين يسيرون ممّن كنتُ أذكرهم لكم مرارًا، والآن أذكرهم أيضًا باكيًا، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيّات" (فيلبّي 3: 18-19). يحاول الشيطان أن يخيف المسيحيّين من أنّهم إذا اختاروا الصليب سيكونون في الخلف، ولن يتقدّموا، ولن ينتصروا. يقول لهم إذا كان الصليب في يدكم، فلن تتقدّموا. ويقنعهم بأنّهم سيصبحون ضحايا للإساءة، ثمّ يقترح عليهم أن يسيئوا إلى الآخرين (لكي يمنعوا الإساءة إليهم).

لذلك، بسبب إيمانهم الضعيف جدًّا، يستخفّون بنعمة الله وقوّته وحمايته التي تشمل كلّ مَن يحفظ وصاياه.

أراد اليهود مسيحًا بلا صليب. واليوم، يريد الناس فردوسًا، ولكن بلا صليب. ولهذا، نُدعى، نحن المسيحيّين، إلى التخلّي عن حياة حمل الصليب.

إذا كان ضدُّ المسيح يحارب المسيح، فإنّه يفعل ذلك لأنّ المسيح هو المسيح المصلوب، ما يعني أيضًا المسيح القائم من بين الأموات. وبما أنّ ضدّ المسيح هو مسيحٌ كاذبٌ ونبيٌّ كاذبٌ، فهو يَعِدُ الناس بفردوسٍ أرضيّ، وبخلاصٍ وعتقٍ من دون صليب. ولكن كيف يمكن أن يوجد فردوسٌ من دون محبّة، ومحبّة من دون إنكارٍ للذات؟ ثمّة تفسيرٌ مثيرٌ للاهتمام لرمزيّة رقم ضدّ المسيح 666، فطريقة كتابة هذا الرقم في اليونانيّة تُظهِرُ مسيحًا منفصلًا عن الصليب، أي إنّ ضدّ المسيح هو مخلّصٌ من دون صليب.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Archimandrite George Kapsanis (n.d.). “Christ’s Cross and Its Meaning In Our Lives”. In *Exaltation of the Precious and Life-Giving Cross*. Published by the Serbian Orthodox Church in North, Central, & South America. serborth.org.